

المحاضرة السابعة:

حول أسباب وعوامل صناعة الفشل التعليمي



نحو الاتجاه المُعاكس لما هو مطلوب؟

الهدف المرام: التعرف على أبرز أسباب الفشل التعليمي

1. الانشغال العالمي بأسباب الفشل التعليمي:

- منذ تأسيس المدرسة الالزامية العمومية L'école publique obligatoire وتحوّلها لمؤسسة جماهيرية Institution de masse وهي تُكره الأطفال وتُلزم المراهقين على تقّي درجات وتصرّفات وأوقات نظام تعليمي محدّد الخطوات والمراحل سلفاً، لأجل تكوينهم وفق ما تراه مناسباً، لتحقيق ما يسمى بالتربية الشاملة L'éducation universelle، إذ كثيراً ما وصفت من يتخلف عن تمثّل ثقافتها بالمتأخرين بيداغوجيا Des arriérés pédagogiques، بل بالمُخلفات المدرسية Déchets scolaires¹، منذ ميلاد هذه المدرسة التي توصف اليوم بمملكة اللامساواة Royaume des inégalités، تمّ

¹ Carpentier, C.). Echec scolaire. In J. Houssaye (Ed.). Questions pédagogiques. Encyclopédie historique. Paris : Hachette, 1999, p.158.

تحديد منهج وثقافة التعليم الإلزامي من لدن رجال الدين، ثم الدولة والنظام المهيمين على المجتمع، على أساس أسبقية ثقافة الطبقات الحاكمة والمهيمنة، حيث كان المنهج/ المنهاج ولا يزال تحت سيطرتها، فهي التي تصنع قيمها ومعارفها الخاصة، وتفرضها باعتباره نموذج الثقافة العامة La culture générale². ما جعلها تُخصّص وتمتلك شرعية تمثيل الثقافة المدرسية La culture scolaire، ما جعل أبنائها أكثر تمثلاً واستيعاباً وتحصيلاً لهذه الأخيرة عكس أبناء الطبقات الأخرى، التي تجد صعوبات وعوائق في استيعاب ما يحدث في الفضاء التعليمي، وضع فاقم تنامي ظاهرة التفاوت واللامساواة التعليمية والتي يرجع أصلها للتفاوت الاجتماعي للمدرسين، ولأسرهم، ما جعل عديد الهيئات والمنظمات والباحثين يدقون ناقوس الخطر لما لها من تأثيرات على بنية واستقرار المجتمعات.

- حيث أعربت منظمة اليونسكو، من خلال مكتب الدولي للتربية Le Bureau international d'éducation في السنوات الأخيرة عن قلقها بشأن تنامي معدّل تكرار وإعادة المستويات التعليمية، وكذا تنامي ظاهرة التسرب المدرسي في أنظمة التعليم لدول العالم، وإن كانت بدرجات متفاوتة. حيث طرح المختصون عديد الفرضيات حول أسباب التسرب والهدر التعليمي حسب السياقات الوطنية المختلفة. إذ يفترض بعضهم أنّ هذه المشكلة ناتجة عن تديّي الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تُثني الأطفال عن مواصلة دراستهم، بسبب اضطرار آبائهم للاستعانة بهم في الأعمال المنزلية أو المزرعية، أو أي نشاط آخر يساعدهم لتوفير لقمة العيش. في حين تشير الفرضيات أخرى إلى أنّ البرامج والأساليب المدرسية المنتهجة خلال الممارسة

² Philippe Perrenoud, "L'échec scolaire naît de la confrontation entre un univers de différences culturelles et une organisation pédagogique", 1998. URL: http://www.unige.ch/fapse/SSE/teachers/perrenoud/php_main/php_1998/1998_09.html

التعليمية ليست مناسبة لاحتياجات عديد المتدربين أو لمجتمعاتهم، مما يؤدي أيضًا تنامي معدلات الهدر والتكرار ³Déperdition et de redoublement .

- وفقا لمبدأ كرة الثلج في تشكّل الظواهر الاجتماعية تزداد المشكلة تعقيدًا بزيادة كلفة الوحدة التعليمية لإعداد الخريجين من الأطر Les cadres ما ضاعف نفقات الدول والحكومات، واضطرّها للبحث عن حلول واجراءات للتخفيف من ذلك. خاصة أمام التصور الذي يؤكد أنّ التنمية الاقتصادية والاجتماعية النّاجحة للبلد تعتمد إلى حدّ كبير على كفاءات إعداد الموارد البشرية لهذه التنمية، إذ كلما غادر/تسرب/ انهدر/فشل التلاميذ قبل النّجاح بحصولهم على شهادة تعليمية تؤثّر على كفاءاتهم المُمكّنة مستقبلا في عالم التنمية، كلما أثقل ذلك التنمية بمعناها الواسع بخسائر خيالية، إضافةً لظاهرة هجرة الأدمغة التي تعاني منها الدّول المتخلّفة ومنها الجزائر، إذ تفقد امكانيات هائلة⁴.

2. العوامل المؤثرة في تربية الفرد :

- يلخص الباحث م. أمجد قاسم، أهم العوامل الفاعلة في التربية بشكل عام ضمن مايلي⁵:
- مجموعة الظروف والمناسبات التي يمرّ بها الفرد.
 - المؤثّرات المنظمة من تربية المدرسة وعمل المعلم وما يحيط بها من أنشطة.
 - البيئة الطبيعية التي تحيط بالفرد.
 - مجموعة الظروف المحيطة بالطفل في أسرته.
 - قابليات واستعدادات الطفل التي ورثها عن والديه.
 - الدوافع التي يحملها أفراد النّوع الإنساني عامّة وتدفعهم للأنشطة المختلفة والحركة والبحث عن الغذاء وعن المعرفة.

³ José Blat Gimeno, "L'échec scolaire dans l'enseignement primaire: moyens de le combattre", Etude comparée internationale, Etude préparée pour le Bureau international d'éducation, Unesco, 1984, p.3.

⁴ Ibid. p3.

⁵ ملخص لكتاب إبراهيم ناصر، *أسس التربية*، دار عمار للنشر والتوزيع، 2016. الموقع: <http://al3loom.com/?p=1191>

• أثبتت الدراسات المتعددة التخصصات أنه يمكن أن يحدث الاخفاق التعليمي نتيجة ستة أنواع مختلفة من المشاكل⁶:

أ- صعوبات التكيف مع إكراهات الفضاء المدرسي (الاضطرابات السلوكية والعلاقاتية)، أي مع إملاءات وإكراهات الثقافية المدرسية -بورديو-.

ب- صعوبات التعلم التي تتلخص في المشكلات المعرفية ونقص المهارات التعليمية.

ت- إجراءات الإلغاء أو التأجيل التعليمي كالتكرار، إعادة المستوى، أو شُعب غير مرموقة ومُهَمَّشة.

ث- صعوبات الانتقال من دورة تعليمية إلى أخرى .

ج- عدم كفاية أو نقص الشهادة المدرسية (التقييم والامتحانات والدبلومات).

ح- صعوبات الاندماج المهني والاجتماعي بمغادرة النظام المدرسي ودخول عالم الشغل.

3. ماذا عن عوامل ومتغيرات الاخفاق التعليمي؟

- يحدث الفشل التعليمي حسب الباحثان Leclercq & Lambillotte نتيجة عدم الاهتمام التدريجي للطالب بالتزاماته التعليمية بالمدرسة، إنه ثمرة تراكم عديد العوامل التي ترتبط في نفس الوقت بالمسار الشخصي للطالب، وفي ذات اللحظة بالطريقة التي يشتغل بها النظام التعليمي⁷.

• على العموم تتباين أسباب الفشل الدراسي بشكل عام من مجتمع آخر، ومن منطقة أخرى، بل من عائلة لأخرى، تبعاً لمتغيرات متنوعة يتداخل فيها الخصائص الذاتية للتلاميذ مع المتغيرات الموضوعية المرتبطة بالجو العام للفضاء التعليمي. إذ كثيراً ما يصنف الخبراء هذه العوامل والمتغيرات الى ثلاثة مجموعات رئيسية⁸:

1.3. متغيرات الأسباب الذاتية/ الشخصية للمتمدرسين:

⁶ Echec scolaire, Journée du refus de l'échec scolaire, Thème: Le décrochage, 19 septembre 2012. <http://www.citoyendedemain.net/agenda/echec-scolaire>

⁷ Leclercq, D. & Lambillotte, T. "A la rencontre des décrocheurs. Plaidoyer pour une pédagogie du cœur". Le point sur la recherche en éducation, 4. 1997.

⁸ محمد الدريج، الفشل الدراسي وأساليب الدعم التربوي، *الوجدية* يوم 07 - 07 - 2009. <https://www.maghress.com/oujdia/1350>

● والتي لها علاقة ارتباطية مع مجموع خصائصهم الذاتية، الفكرية، الجسمية، العقلية والعاطفية،... خاصة فيما يرتبط بالنمو غير سليم أو العليل لقدراتهم وملكاتهم البدنية والتفسيية والروحية، وتسمى بالعوامل الذاتية Les facteurs personnels . ذلك لأن "تسعة وتسعون بالمئة من حالات الإخفاق تأتي من الذين تعودوا تقديم الأعذار" يقول جورج واشنطن. فالنجاح أو الفشل هو عقيدة ذاتية قبل أن تكون حتمية موضوعية أو اجتماعية. إنه انتصار أو انهزام نفسي داخلي، إنه القابلية للاستعمار كما يقول "مالك بن نبي"، أو القابلية للاستحمار كما يقول "علي شريعاتي". غير أن المفارقة تكمن في أن العقيدة الذاتية هي انعكاس لنتائج تفاعلاتنا مع محيطنا، ومع الآخرين المهمين أو المعتمدين، الذي يعودنا على ذلك من خلال نوعية التغذية الراجعة التي نتلقاها منه، إما بالسلب أو الايجاب، إما بالتحفيز والمدح والثواب أو التثبيط والذم والعقاب.

● فالمدرسة كما يعتقد Philippe Meirieu تعترم وتريد التعليم، ولكن ليس كل الطلاب لديهم رغبة لتنمية متعة التعلم Le plaisir d'apprendre . إنها العوامل الفردية المرتبطة بمتغيرات عديدة، خاصة طبيعة الجنس، الاستعداد النفسي، الرغبة في التعلم،.. فكيف يمكنك أن نرغم تلميذا/طالباً على التعلم؟، وكيف يمكنك أن تزيقه طعم النجاح؟، وكيف يمكنك أن تلهمه حب المعرفة؟، كيف تقنعه أن العلم نور والجهل ظلام؟، وأنه يجب أن يدرك ذلك. تلك من أهم رهانات مدرسة/معلم اليوم والغد. إنها استثارة واختلاق الرغبة في التعلم Le désir d'apprendre ، وسعادة الاكتساب والفهم La joie de comprendre لدى المتعلم، ذلك رهان أية تربية وتكوين فعال، على مدى الحياة، لا أقل ولا أكثر، كما يقول Philippe Meirieu. ويضيف "اكتشاف رغبة التعلم يبقى الفعل المؤسس للتربية"⁹، لأن هذا الشغف يتطلب الكثير من الجهد والكفاءة لتحقيقه، خاصة وأن الاستخدام التعويضي والمنهجي لكلمة 'الكفاءة' Compétence في البرامج المدرسية يشير لعدم قدرة المدرسة على تعبئة المتمدرسين لقضايا ثقافية حقيقية لصالح معايير التشغيل البسيط La simple employabilité .

⁹ Philippe Meirieu et col., " Le plaisir d'apprendre". Paris, Autrement, 2014.

• ولكن، قبل ذلك كيف يمكننا أن نُزغَم/نُرغَبَ أستاذًا/مديرًا في التعليم؟، كيف يمكننا أن نُكرهه/نُقنعه على أن يستثير رغبة المتعلم وهو لا يرغب في ذلك؟، تلك معضلة أخرى، تواجه المدرسة اليوم. ذلك لأنَّ رغبة المعلم من رغبة المتعلم، باعتباره الحلقة الأولى في تصورنا لصناعة واستثارة رغبة المعلم في التَّعليم Le désir d'enseigner، لأنه لن يتحقق المطلب الأوّل دون الثَّاني، والعكس صحيح، حيث كلّمَا رأى المعلم تلك الرّغبة والإلحاح والشّوق لدى المتعلّم كلّمَا زادته عزيمةً واجتهادًا للبدل والعطاء أكثر، ويحدث العكس إذ كلّمَا رأى عدم الاهتمام والتّخلي وعدم الإلتزام من لدن المتعلّم، كلّمَا زاده تقاعسًا ومداراةً لساعات التّعليم، ولو حاول مُكابدة ذلك، ومصارحة صحوة الضّمير، إلّا أنّه سيخضع بعد مدّة لحتمية الواقع التّعليمي المُر، ولو بدرجات متفاوتة، لكن كل هزيمة ستأتي ولو بعد حين، إذا لم تتكاتف العزائم والهمم، والأفعال الملموسة، لا النّيات الطّيبة فقط.

• متغيّر الجنس/الجندر Le genre: عديد الدّراسات أثبتت أنّ الفتيات أقلّ تعرّضاً للفشل بكل أشكاله من الذّكور. إذ يمكن أن يعزى هذا التّفوق للفتيات إلى الاختلاف في الأدوار الاجتماعية بين الجنسين، والذي غالبًا ما يتم تعزيزه من خلال التّنشئة الاجتماعية المدرسية حسب Duru-Bellat 1995. والتي تحضّر الفتيات بشكل أفضل لاحترام المعايير المدرسية واستيعابها كما يؤكّده Baudelot & Establet ، 1992. حيث أثبتت البحوث بأنّه في ذات المستوى التّعليمي الذّكور/الأولاد أكثر عرضة للتّسرب المدرسي مقارنةً بالفتيات Caille، 1999 و Coudrin، 2006 و Afssa، 2013، حتّى أنّها تحدثت عن تأثير ما سمّته بعامل تأثير نوع الجنس/الجندر L'effet de genre .

• كثيرًا ما لاحقت النّظرة الدّونية ظاهرة الفشل التّعليمي ومن دار في فلكها من تلاميذ أو معلمين أو مدراء، فإعلامياً مثلاً، كما يؤكّده Sherman Dorn من خلال تحليله للمقالات الصحفية لموضوع التّسرب في الولايات المتّحدة في السّتينيات، بتسويق وسائل الإعلام للصّورة الخطّرة للفتى المُتسرّب Le garçon décrocheur، وربطها بالفتيان دون الفتيات، إذ يذكر كيف نشرت مجلة Life magazine مقالاً من ثماني صفحات عرضت فيها صورة

فتاة واحدة فقط، حيث يعتقد ناشره أنّ المتسرّبين الذكور يشكّلون تهديداً أكثر من الإناث¹⁰.

1.3. المتغيّرات الموضوعية المرتبطة ببيئة وأصل المتمدرسين:

• "المرء ابن بيئته" كما يقول عديد المفكرين والفلاسفة، لذا يكون لها باع كبير في وسم أو وسم سلوكاته المختلفة، ومن بينها تدرسه، إضافة لطبيعة العيش ضمن الوسط الأسري والعائلي، وغيرها ممّا تسمى بالعوامل الخارجية *Facteurs externes*، إذ كثيراً ما تؤثر طبيعة العلاقات الاجتماعية والروابط الأسرية على تحصيلهم التعليمي، إمّا بالإيجاب أو السلب، فظواهر كالطلاق، الفقر، الإدمان الكحول لدى الأسر يؤثر بشكل فعّال في استقرار العوائل من عدمها. فاحتمال خطر الفشل التعليمي بالنسبة لطفل من الطبقة العاملة أو المسحوقة أعلى منه لطفل من الطبقة المتميّزة والمحظوظة. هذا ما أكّدته دراسة 'راتكليف' Ratcliffe و'ماكرنان' McKernan (2010)، بناءً على متابعة جماعية طويلة من الولادة إلى سن الثلاثين لمجموعة أطفال من أصول اجتماعية متباينة، بأنّ الأطفال الذين يولدون فقراء أكثر عرضة ثلاث مرّات لمغادرة المدرسة بدون شهادة من الآخرين¹¹.

3.3. المتغيّرات المدرسية المرتبطة بالمناخ العام للنسق التعليمي:

- بدءاً بالفلسفات التربوية والسياسات التعليمية المطبّقة الى الحير الهندسي والفيزيقي والفني للوسط المدرسي، وموقع المدرسة، هندستها الخارجية والداخلية، تنظيمها الداخلي، المشرفين عليها، مديريها ومعلّميه، مريديها من التلاميذ... كلّها متغيّرات فاعلة ومنفعلة في ظاهرة النّجاح التعليمي ومنه الاخفاق التعليمي كذلك.
- كثيراً ما يتحدّث الباحثون عمّا يسمى بعامل تأثير المؤسسة *L'effet établissement* والذي ينعكس داخلياً من خلال طبيعة المناخ الجماعي والاجتماعي للصفوف الدراسية،

¹⁰Sherman Dor, " Creating the Dropout: An Institutional and Social History of School Failure", Praeger Publishers Inc, 1996,p 70.

¹¹ Cnesco, "Comment agir plus efficacement face au décrochage scolaire ?", Dossier de synthèse,2017.<http://www.cnesco.fr/fr/dcrochage-scolaire/>

الذي يبتدىء من الحيّز المكاني للمدرسة، موقعها الجغرافي، الحضري أو الريفي، قاعات الدروس ومساحتها، ممّا قد يضيفي لظاهرة الاكتظاظ المدرسي، حيث نجد عشرات التلاميذ في قاعة بمساحة ضيقة، على نحو ما تعيشه عديد مدارس الجزائر. ممّا يؤثّر بالضرورة على أداء المعلمين، ومنه على تحصيل المتعلمين. فالفصل التعليمي ليس مستودع للسلع بل فضاء تفاعلي يستلزم شروط ومعايير علمية موضوعة من لدن آل التّخصص في علوم التربية والتعليم. فالمعلم الذي يشتغل مع عشرة أو أحد عشر تلميذاً يكون أكثر تفرُّغاً لمحاورتهم ومرافقتهم جميعاً، عكس الذي يتعامل مع خمسين تلميذاً، أين يتعسّر عليه ضبط سلوكياتهم وحركاتهم.

● فالمناخ المعتدل والجيد داخل الصّف التعليمي يعود ايجاباً بالتحصيل المثمر لا محالة، حتّى على مستوى التّنشئة المدرسية، وتنشئة القرائن، حيث يتفاعلون ضمن حيز مكاني ايجابي، مما يضيفي لتشكّل سلوكيات واتجاهات ايجابية، وتعاونية مع نظرائهم ومعلميهم. ما يحقق 'الرغبة في المعرفة Le désir de savoir' كما يقول Ménès¹².

● في حين يعتبر المناخ العدواني في الصّفوف وفي الفضاء المدرسي ككل، والقطاع التربوي بشكل شامل -تنامي الاعتداءات والاختطافات التي عرفتتها بعض المدارس خلال السّنوات الأخيرة، وما فعلته وسائل الإعلام من تهويل وتدويل غير مبرر، مناخاً منفراً للتحصيل التعليمي الايجابي ومثبطاً للهمم والعزائم، سواء لدى المشرفين عليه أو المقبلين عليه، أو المرافقين له من أولياء، فيقضي عمّا يسميه Philippe Meirieu بمتعة التّعلم Le plaisir d'apprendre¹³.

● فطبيعة التّنظيم الداخلي للصف قد يحول دون حرية الحركة والتّواصل الايجابي والفعال بين التلاميذ ونظرائهم ومدرسيهم، ممّا يخلق جوّ صراع وتعارك قد يسهم في زيادة حالات التّنمر و الشّوشرة وحتّى العدوان بينهم، وتنامي حالات التّفرد والأنانية،

¹² Ménès, M. L'enfant et le savoir. D'où vient le désir d'apprendre ? Paris : Seuil, 2012.

¹³ Meirieu, P. Le plaisir d'apprendre, Manifeste, Broche, 2014.

بدل التجمع والتعاون والبناء في حل المشكلات التعليمية، مما يضيف لزيادة التنافس المحمود لا المذموم.

• بدورها تلخص الباحثة "نايفة قطامي" 1990 أسباب الاخفاق التعليمي في المجتمعات العربية خاصة، التباين في أعمار التلاميذ وأجسامهم، -وهيئاتهم وهندامهم-، مما قد يتيح لمجموعة منهم فرصة استغلال قوتهم في السيطرة على الضعاف منهم. إضافة لطول المقررات التعليمية وتكديس بعضها بشكل غير متوازن. كما إضافة أهل الاختصاص ما يسمى بعامل "أثر المدرس".

1.3.3. عامل "تأثير المدرس L'effet enseignant" في الفشل التعليمي:

من أهم متغيرات ظاهرة التجاخ أو الفشل ما يعرف بتأثير المعلم ، ذلك لأنّ هذا الأخير هو حجر الزاوية في العملية، لا سيما من خلال تمثلاته وممارساته لطرق التدريس المختلفة، وارتباطها بما يسمى ب"تأثير بيجماليون Pygmalion".

• لكن ما المقصود بتأثير بيجماليون Pygmalion Effect ؟¹⁴.

يعرّف باعتباره نبوءة ذاتية التحقيق une prophétie autoréalisatrice تثير تحسناً في أداء وقدرات الشخص المعتقد فيها، اعتماداً على درجة الثقة في نجاحه الممكن من لدن سلطة ما -معلم، أب، مدير- أو بيئته -عائلة وزملاء-، وقد تحدث حتى مع ذاته. فمجرد الاعتقاد بنجاحه الممكن تتحسن فرص وإمكانيات نجاحه. في السياق التعليمي إنّها أثر الآراء المسبقة والفرضيات القبلية للمدرسين حول تلامذتهم وتحصيلهم الدراسي. غالباً ما يستخدم هذا الأثر في إطار النتائج الايجابية. ويقابله في التوقعات والآثار السلبية ما يسمى بأثر غولام effet Golem ، ويقصد به أنّ التوقعات السلبية القبلية من لدن

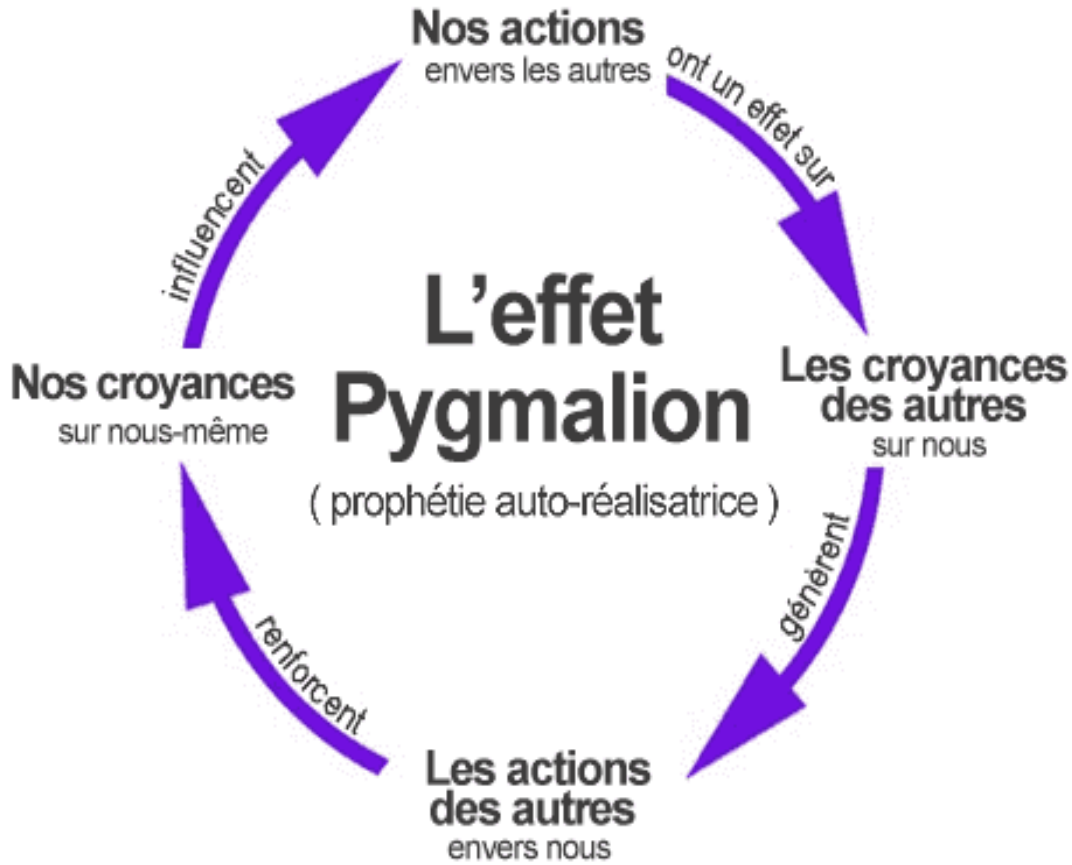
¹⁴ يعود أصل مصطلح Pygmalion لأسطورة اغريقية قديمة، جعلها برنارد شو George Bernard Shaw عنواناً لعمله المسرحي "my fair lady سيدتي الجميلة" الذي نال عليه جائزة نوبل في الأدب عام 1914. يتلخص محتوى الاسطورة في حول قصة نحات يُسمى بيجماليون كان يبغض النساء أشدّ البغض، حتى أنه عاش مُنعزلاً ولم يتزوَّج، ولقماً شعر بالوحدة نحت تمثالاً لامرأة فائقة الحسن و الجمال و نعتها "جلاتيا"، مع الوقت وقع في فتن جمالها، فدعا الآلهة أن تجعلها امرأة حقيقية فاستجيبت دعوته. واستجيبت دعوته، فتزوجها. بدورها أفتنت جلاتيا بجمالها فتركته وفرت مع شابٍ وسيم، الأمر الذي أحزنه وأحى فيه كره النساء مجدداً، فدعا مجددا الآلهة لتعود جلاتيا كما كانت تمثال حجر، فكان له ما طلب. للإشارة Pygmalion مستوحى من الاساطير الاغريقية، أما Golem من الاساطير اليهودية.

المعلمين، المدراء، الأولياء... حول التلاميذ تُضفي لنتائج مُثبّطة وسلبية. وهذا ما أكّده مهندساً نظرية "تأثير بيجماليون Pygmalion Effect" الباحثان Rosental و Jackobsen سنة 1968 حول طبيعة توقعات المعلم، الولي،... لأداء تلامذته، فإذا كانت توقّعات المعلم عن التلميذ ايجابية تكون نتائجه كذلك، أمّا إذا كانت منذ البداية سلبية فستنعكس على نتائجه بأن تكون كذلك. وقد بيّنت الدراسات أنّ هناك علاقة بين مواقف المدرسين القَبليّة وما يتوقّعون تحقيقه من نتائج فعليّة، ومَرَدُّ ذلك إلى علاقات التّواصل والتّفاعل التي رَبطها المدرس مع التّلاميذ من آراءه المسبقة، فمِن خلال هذه الأشياء يدعم المدرس بعض التّلاميذ، ويجعل تعليمهم إيجابياً، ويدفعهم إلى كَسب الثّقة في أنفسهم ورفع التّحدي لعدم تخيب توقّعاتهم.

● برهان النّتايج من تجاربها:

● اكتشف "روزنتال" تأثير Pygmalion من خلال إجراء التّجربة التّالية: قام بفصل إثني عشر فئراً بشكل عشوائي إلى مجموعتين متساويتين، ثمّ أعطى كل مجموعة لستّة طلاب لتحريكهم من خلال متاهة. وأبلغ المجموعة الأولى أنّه تمّ اختيار فئرانهم بطريقة دقيقة للغاية، لذلك يتوقع منهم نتائج استثنائية. وأبلغ المجموعة الثانية أنّ فئرانهم ليست استثنائية لأسباب وراثية، ومن المحتمل جدّاً أنّهم سيجدون صعوبة في العثور على طريقهم في المتاهة. وبالفعل طابقت النّتايج إلى حدّ كبير التّوقّعات الخيالية التي قدمتها "روزنتال"، بعض الفئران في المجموعة الثانية لم تتخطى حتّى خطّ الانطلاق. بعد التّحليل والتّمعن اتّضح أنّ التّلاميذ الذين اعتقدوا أنّ فئرانهم ذكية واستثنائية أظهروا التّعاطف والحماس والدّفء والصّداقة معهم، في حين نتج عكس ذلك مع المجموعة الأخرى. تمت إعادة التّجربة مع الأطفال في مدرسة أوك Oak School، بسان فرانسيسكو San Francisco بالولايات المتّحدة، من قبل "روزنتال و لينور جاكوبسون Rosenthal et Lenore Jacobson، ولكن فقط على التّوقّعات الإيجابية للمعلمين.

• ومن أجل تقريب الفكرة وتشكيل ما ذكرنا إليك الشكل الموالي¹⁵.



محصلة ما ذكر: - إن نجاحاتنا وإخفاقاتنا تحددها معتقداتنا في قدراتنا، كما تحددها

معتقدات الآخرين فينا.

- تشكّل بشكل واسع معتقدات وانتظارات الآخرين سلوكياتنا إضافة لسلوكياتهم اتجاهنا.

أ- خصوصية البيئة الأسرية والاجتماعية والثقافية للوسط العائلي، يؤكّد أهل الاختصاص في كثير من موضع ومناسبة بأنّ السنوات الأولى من حياة الطفل هي القاعدة الخصبة

¹⁵ Karin Aubry, "Effet Pygmalion et (self)management", 2012. In:

<https://kolibriccoaching.com/motivation-neurosciences/effet-pygmalion-et-selfmanagement/>

لصناعة أو تخريب الشّخصية القاعدية له، ولهذا لها تأثير فعّال على نموه النّفسي والبيولوجي والاجتماعي، ولأنّ أغلب أوقات الطّفّل يقضيها ضمن الوسط الأسري حيث يتلقّى ارهاصات الحياة وأولوياتها، مقدّساتها ومحرماتها، ضروراتها وكمالياتها، يبقى لهذا الأخير تأثير مباشر في صناعة النّجاح أو الفشل التّعليمي قبل وبعد ولوجه المدرسة، خاصّة خلال المدرسة الابتدائية، باعتبارها بدايات تأسيس القاعدة التّعليمية الأساسيّة لذلك. فطبيعة المناخ العاطفي السّائد بين أعضاء الأسرة، إضافة للمستوى الثّقافي لهؤلاء، يحدّدان إلى حدّ ما مدى تقبّل وتكّيّف التّلاميذ مع الصّيرورة الدّراسية بأكملها. نتيجة اتّزان حالة النّفسي والعاطفي والفكري الذي ينتج عن هكذا مناخ، خاصّة الاستقرار والتّوازن بين والديه وباقي أفراد الأسرة، الذي هو أساس عملية التّنشئة الاجتماعيّة للطفّل. بيئة وُدّية، تساعد على تعزيز الثّقة بالنّفس وأساليب العلاقات مع الآخرين، والتي هي نقطة بداية التّعليم باعتبارها أساس أيّة عملية اتصال وتواصل.

● فالأولياء الذين يعلنون سلوكياً استقالتهم هم **آباء مستقيلون Les parents démissionnaires** من المرافقة اليومية لأبنائهم بل وصانعي الفشل التّعليمي بامتياز، فمن خلال نوعية قيم التّنشئة الاجتماعيّة الأسرية، الخاصّة بكل أسرة. فإذا كانوا آباء يولون أهمية لمفهوم النّجاح بكلّ أشكاله، حيث يتمّ تعظيمه وتعظيم السُّبل لتحقيقه لأبنائهم، فمن نافلة القول أنّ هؤلاء الأطفال سينحون نفس المَنحى إذ تكبر لديهم آمال تحقيق لادراك وتحقيق استحسان واستمداح واستعطاف أقرب النّاس إليهم فيجتهدون بشكل خاص لتحقيق النّجاح في دراستهم.

● في حين حينما نكون أمام أسرة/ عائلة عكس ما ذكرنا قيمها تَغفل أو تتغافل طوعاً أو كرهاً، وعياً أو جهلاً، عن قيم تحقيق النّجاح، حيث تعمّ تصرّفات وسلوكات الاستقالة الفرديّة والجماعيّة من أجل تحقيق ذلك، لأنّ صناعة النّجاح أمر عسير ومُضني، وليس نزهة وخطاب وردي، عكس الفشل يسيّر بلوغه.

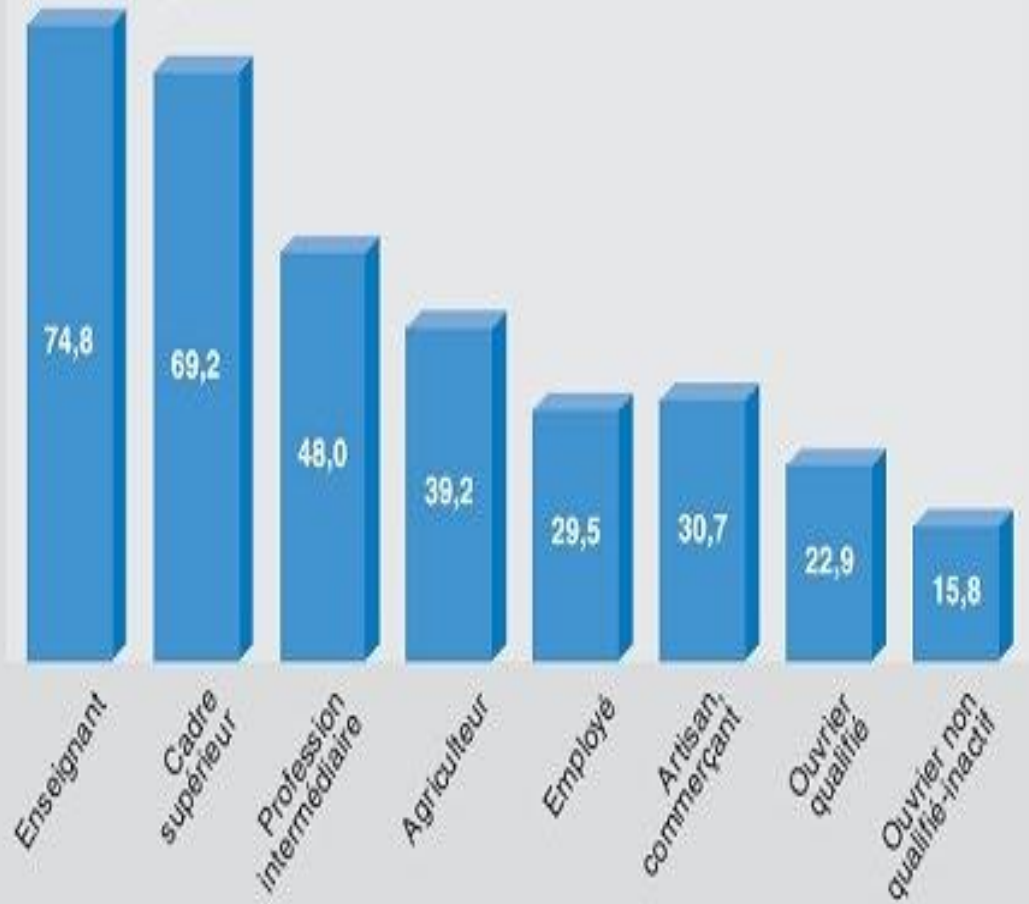
● في الواقع كثير من الآباء لا يعرفون كيف سيواجهون أطفالهم عندما يتعرّضون للفشل سواء مؤقت أو نهائي، جزئي أو كلي. حيث تذكر الدّراسات المعاصرة أنّ من أهم أسباب

ذلك فقدان قيمة الحوار بين الوالدين والطفل، حوار غائب أو مُغيَّب منذ الطفولة، تتجلى معالمه السيئة خلال فترة المراهقة، أين يفقد الآباء السيطرة على أطفالهم، خاصة فيما يتعلق بما يجري في المدرسة، فيعجزون عن إعادة استئناف الحوار وإعادة إنشائه، لعدم توفر سلطة ممكنة وممكنة لمساعدتهم في أعمالهم المدرسية. فيصبح الآباء المستقلين مشاركون/ مساهمون/متواطؤون des complices في فشل أبنائهم بطريقة غير مباشرة وغير مقصودة بالتأكيد.

● بطبيعة الحال يجب التذكير أن عديد الدراسات السوسولوجية أثبتت بأنّ الفشل المدرسي لصيق فئات اجتماعية مهنية محدّدة، خاصة أبناء الطبقات المحرومة أو الميسورة Classes défavorisées ou peu aisées، حيث كشفت الإحصائيات -خاصة بالمجتمعات الغربية- أنّ السّواد الأعظم ممن يتعرّضون للفشل المدرسي هم أبناء الفئات السوسيو مهنية Les catégories socioprofessionnelles العمال البسطاء، الفلاحون، أو الموظفون الصّغار، مقابل نسبة قليلة لأبناء الأطر العليا والطبقة العليا. ولتقريب الصّورة أكثر لاحظ الشّكل الموالي الذي يبين نسب حصول التلاميذ على البكالوريا العامة -1989- حسب أصلهم الاجتماعي بالمجتمع الفرنسي¹⁶.

¹⁶ L'échec scolaire, <https://sites.google.com/site/lecheescolaireaujourd'hui/>

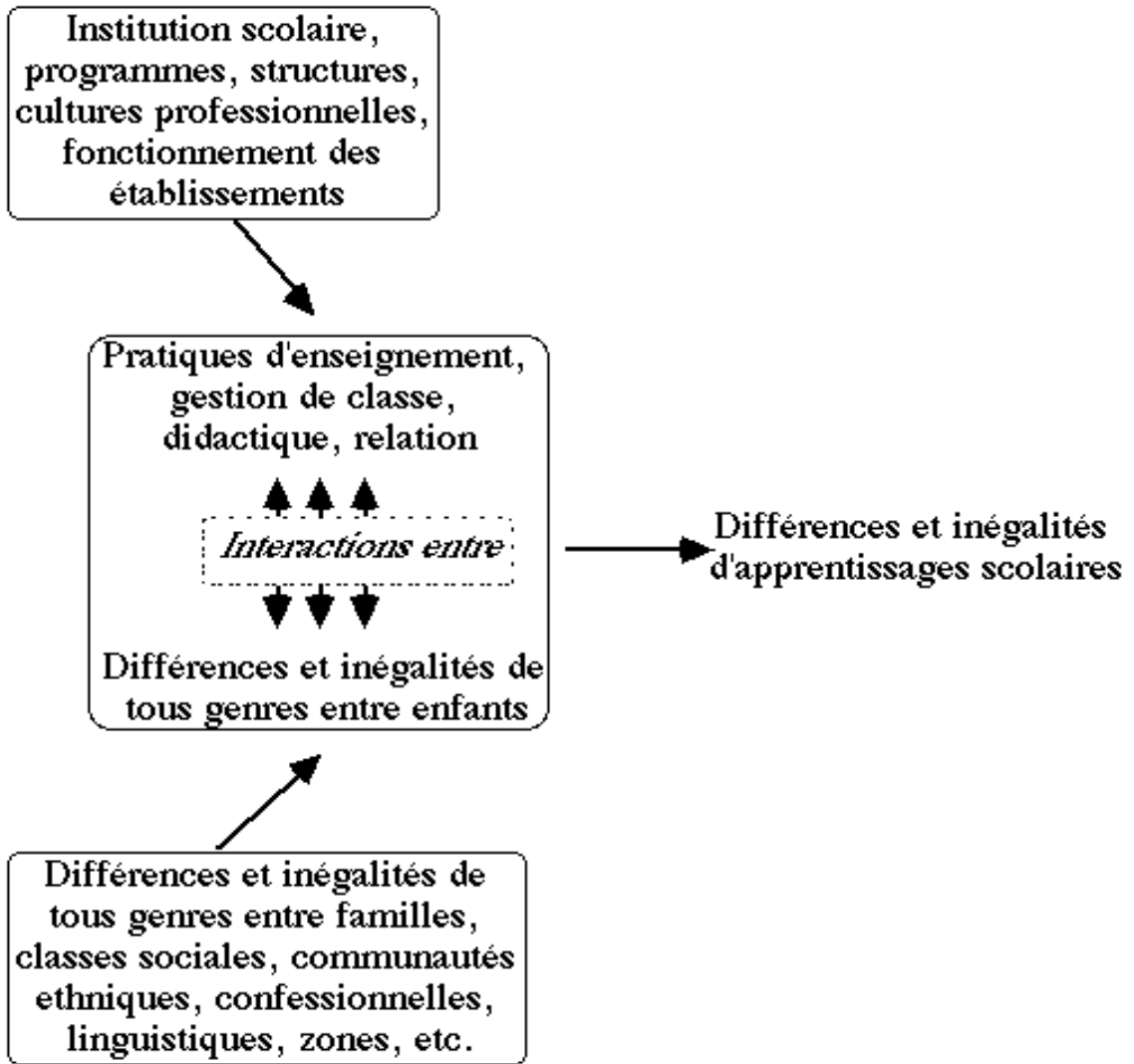
Graphique 5 – Taux d'accès des élèves du panel à un baccalauréat général selon leur origine sociale (en %)



Source : panel 1989 MEN-DEP

- أطروحة Philippe Perrenoud لأسباب الفشل: يعتقد "فيليب بارنو" أنّ ظاهرة الفشل التعليمي تنشأ نتيجة المواجهة القائمة بين مجموعة من الاختلافات الثقافية différences culturelles و تنظيم بيداغوجي معيّن. وقد لخص الفكرة بالشكل الموالي¹⁷:

¹⁷ Philippe Perrenoud, op cit.



● فالمؤسسة التعليمية بخصوصيات نسقها، برامجها وممارساتها وقيمها، ومنطقها التسييري والوظيفي، إضافة لطبيعة الممارسات البيداغوجية والديداكتيكية والعلائقية بين الهيئة التربوية من جهة ومجموع التلاميذ بتفاوتاتهم وتبايناتهم الثقافية والاجتماعية والطبقية والاثنية و... من جهة أخرى، وما تفرزه نتيجة طبيعة التفاعل القائم من مواجهات بل صراعات في بعض الأحيان بين الطرفين، هي التي تؤدي بعضهم للفشل لعدم قدرتهم على تجاوز هكذا مواجهة لثقل الاختلافات الثقافية. فالذين ينتمون إلى الطبقات العليا والمتوسطة ينقلون إلى أطفالهم تراثاً ثقافياً وصورة للثقافة التي لديها العديد من العلاقات مع محتوى التعليم ومعايير التميز التعليمي¹⁸.

4. **سوسيولوجياً، ماذا يحدث للشخص الذي تعرّض لحالة الفشل؟**

¹⁸ Ibid.

1.4 . تصوّر "إرفين غوفمان Erving Goffman" للفشل التّعليمي؟

- يعتبر الباحث المتمرس في السوسولوجيا التفاعلية Erving Goffman من أهم من قارب اشكالية تجارب الفاشلين /الخاسرين في العالم الاجتماعي Les perdants du monde social وما تفرزه من أزمات وجودية Des crises existentielles لأصحابها، وحالة الحداد التي يدخلون فيها لمدة معينة، و مخلفاتها النفسية والعلاقاتية الاجتماعية.
- تعتبر الحياة الاجتماعية حسب "إرفينج جوفمان" مشهداً تمثيلاً بصورة مقلوبة للمؤسسة، مشكلتها الدائمة أن لن تكون أبداً كاملة وإنما مجزأة. تفرض علينا التعاطي مع مجموعة من الأسئلة التي تثيرها وتفرضها علينا، الأسئلة التي تثيرها، فحكاياتنا الاجتماعية الأساسية اليومية نجدها متمحورة في أغلبها حول - كيف ندعو الآخر لأمر ما؟، كيف ألقى التحية أمام الآخرين؟، كيفية التخفيف من وطئة فشل ما؟...الخ. والبحث عن معاني مشتركة للمعاملة الطبيعية أو المقبولة اجتماعياً، أو المدنية أو الأخلاقية للحفاظ على أمور ذات القيمة لذاتها، ألا وهي "Nos visages" ، حيث نفعل المستحيل بما في ذلك معارك اجتماعية للحفاظ على "ماء وجوهنا" كما يقال حفظ ماء الوجه أمام الآخرين¹⁹.
- يضيف "إ.غوفمان" أنّ حالة الفشل مهما كان شكلها تحدث عندما يدرك الشخص المعني أنه حُرِمَ ومُنِعَ من الصفات والخصائص التي كان يعتقد أنه يتمتع بها. حيث يتوهم ذات الشخص أنه كان نتيجة احتيال مخطّط له Une situation d'escroquerie planifiée من عوامل خارجية، أين كان يعتقد أنه كان يشكّل مع الآخرين فريقاً واحداً يتعاونون ضدّ فريق آخر، ويواجهون أزمات الواقع معا. يتعاضدون في حالة التّكبات والأزمات، حتّى قد يصل لقناعة في الواقع أنّهم تواطئوا ضدّه. خاصّة بعدما يكتشف أنه

¹⁹ Des contributions (quinze) à un colloque, "Le Parler frais d'Erving Goffman", suivi de deux textes inédits d'Erving Goffman: Calmer le jobard, Réponse à Denzin et Keller, Collection Arguments; Les Éditions de Minuit, 1990, 328 pages .

كان عبثاً يأمل في الحصول على أرباح -مهما كانت طبيعتها- فيُصاب بخيبة أمل، نتيجة فشله، ممّا يفرض عليه أن يبحث عن ميكاميزمات للتّعامل مع هذا الفشل.

• حسب غوفمان كثيراً ما يعتمد الفشل / الفاشل دائماً على الثقة -العمياء- التي نضعها -بغباء- إمّا في شخص ما، أو في مؤسّسة لمنحنا النجاح، خاصّة بعدما نكتشف التّباين الصّارخ بين القواعد الخفيّة غير المُعلّنة، الموضوعة للحصول على امتيازاتها 'النّجاح'، وخطابها الذي تدّعيه حول ذات الامتيازات. فينضاف لحالة الفشل خسارة الدّور الاجتماعي المكتسب أو المتوقع منه أن يشغله بعد نجاحه، فتتضاعف الخيبة.

• ولأنّ كل التّدخلات الاجتماعية تُحارب قدر المستطاع الموت الاجتماعي Mort sociale للأفراد، يفرض على الشّخص الفاشل الذي توفي اجتماعياً Socialement mort ولو مؤقتاً أن يدخل في عملية تبريد Cooling وتخفيف أمارة الفشل، بل يعمد لإعادة تعريف الذات Un processus de redéfinition de soi كشكل من أشكال التّعويض والتّخفيف الذي قد يسمح له بالاستمرار في العيش بين أولئك 'الأحياء اجتماعياً Socialement vivants' دون التّسبّب في تجلّي العملية الاجتماعية أمام المألأ²⁰. خشية فقدان مصادر The loss of sources الأمان Security الاجتماعي والدّور Statuts المكتسب أو المتوقّع مستقبلاً²¹.

²⁰ Erving . Goffman, «Calmer le jobard : quelques aspects de l'adaptation à l'échec », *Le parler frais d'Erving Goffman*, Paris, Minuit. 1969 [1952].

²¹ Erving, Goffman, "On cooling the mark out. Some aspects of adaptation to Failure", *Psychiatry*, vol. 15, 1952, p. 451-463.

